م 1

إستريوغرافية المغرب الحديث.

- الإستريوغرافية فن من فنون علم التاريخ، يهتم بدراسة طرق كتابة المؤرخين له، من حيث أساليبهم واهتماماتهم ومناهجهم وفلسفتهم. وقد تطورت الإستريوغرافية عبر التاريخ، وأخذت معالم عدة، ويمكن إجمال مراحلها في:

أ- العصور القديمة؛ وهو عصر نشوء التاريخ النقدي، ومن أوائل مؤرخيه هيكاتي وهيرودوت. ومع ظهور "تيوسيديد" ظهرت الروح النقدية، القائمة على مقابلة المصادر المروية والمكتوبة؛ و"بوليبيوس" الدارس لقضية تعاقب النظم السياسية؛ أول من بحث عن الأسباب المحركة للتاريخ. ثم جاء تيتوس ليفيوس وسالستيوس وقيصر وتاستيوس الذين تميزوا بالأسلوب الادبي والروح الوطنية أو الحزبية.

ب- العصور الوسيطة؛ وكان غالبية تاريخييها من الطبقة الدينية المتداخلة مع السلطة، حكت كيفية نشوء أمة دينية مسيحية أو إسلامية؛ فطابعها أساسا ديني أخلاقي.

ج- عصر الإحياء؛ (ق18) بظهور الحركة الإنسانية المتجهة إلى الموروث الحضاري البشري.

د- في القرن 19م؛ ظهرت مدرسة المادية التاريخية، صاحبة التفسير الاقتصادي للتاريخ.

ه- في القرن 20م؛ تشعب علم التاريخ إلى مدارسة متعددة: الحدثية، الحوليات، التاريخ الجديد ... وظهرت اتجاهات، كاتجاه التجديد التاريخي الوسطوي، المعروف بالإحياء الوسطوي (شارل هاسكنس).

❖ إشكالية نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث:

- كان المؤرخون الوسطويون يقسمون مراحل التاريخ على التقسيم الإنجيلي، وكانوا يصفون عصرهم بالعصر الحديث.
- ثم ظهر لفظ "العصور الوسطى" لأول مرة سنة 1469م بلفظ "Media tempestas" أي الفصل المتوسط، ثم بلفظ "Medium aevum" أي العصر الوسيط سنة 1604م.
- وتبدأ القسمة الثلاثية المشتهرة في القرن 17 عن طريق "كريستوف سلاريوس" لتصبح قاعدة بعدها.
- ويختلف المؤرخون في تحديد بداية للتاريخ الحديث؛ على أنهم اتفقوا تقريبا على إيقاعها في نهاية القرن 15م، ولهم فيها أقوال عدة:

أ- سقوط القسطنطينية 1453م.

ب- نهاية حرب المائة عام 1453م، بالنسبة للمؤرخين الفرنسيين.

ج- معركة "بوسوورث" سنة 1485، بالنسبة للمؤرخين الإنجليز.

د- أول رحلة لكريستوف كلومبس 1492م.

ه- سقوط غرناطة سنة 1492م، بالنسبة للمؤرخين الأسبان.

و- بداية الإصلاح البروتستنتي سنة 1517م.

- لكن هذه التواريخ في الحقيقة لا تمثل لوحدها مرحلة تغير عصور؛ فالإستريوغرافية المعاصرة تعتبر فترة "الإحياء" الوجه الحقيقي للانتقال من العصور الوسيطة إلى العصور الحديثة.
- وأعطى جاك لوڤوف توصيفا أكثر توسعا لفترة التاريخ الوسيط، من القرن 4م إلى القرن 18م، رافضا أن تكون حركة الإحياء مُنهية للثقافة الوسطوية بل امتداد لها.

❖ نظرية ابن خلدون في عوامل التاريخ المغربي:

- كان ابن خلدون مؤرخا، وأكثر من ذلك مفلسف تاريخ؛ فخرج بمقدمته نظرية متكاملة في تفسير التاريخ الإسلامي، مبرزة العوامل الفاعلة في الحضارة الإسلامية، وهي:

أ- العامل الفكري (الدين-الإديولوجية): ويقصد به الديني، ويهمنا منه مدى تأثيره في سير الأحداث التاريخية.

- فهو يرى أن الدولة من ضروريات الحياة الاجتماعية، ولا تتأتى إلا بشروط معينة في مقدمتها الاستقرار؛ ولما كانت البداوة لا تخضع للحكم ولا تميل إلى الاستقرار (التحضر)، احتاجت لعامل يقلب طباعها، فكان ذلك الدين أو "الدعوة الدينية".
- على أنه اشترط لها لتمامها أن تقوم على عاتق جماعة قوية بعصبيتها.

ب- **العامل الاجتماعي (العصبية):** فالعصبية عامل أساس في نظريته؛ فهي أساس الملك والشرط الضروري وأحيانا الكافي لقيام الدول.

- فعصبية العرب ومن في معناهم قد طبعت **بطابعها** دولهم وممالكهم بمختلف مظاهرها.
- ففي الجانب السياسي كان لعصبية البدو و**خلق بداوتها** دورا أساسا في عدم استقرار الحكم وعدم طول أمد الدولة.
- أن الصراعات السياسية للدولة الإسلامية حين نشأتها ما هي إلا استمرار لصراعات عصبيات الجاهلية، وحتى نتائجها لم تختلف عنها في الجاهلية، فكانت الغلبة دوما للعصبية الاقوى والأكثر فاعلية.
- إذن فالعصبية هي التي لعبت الدور الحاسم في التاريخ العربي والمغربي؛ فالتاريخ صراع بين العصبيات، وكما يكون حاسما في نشوء دولها يكون حاسما في زوالها.

ج- **العامل الاقتصادي (شؤون المعاشية):** إن ضرورة الاجتماع راجعة إلى حاجة "تحصيل الغداء"، واختلاف أقاليم المعمور من حيث كثرة العمران وقلته راجعة إلى حال"الخصب والجدب"، بل إن اختلاف أهل الوبر وأهل المدر راجع إلى اختلاف "نحلتهم من المعاش".

- ثم إن الملك وهو غاية للعصبية إنما يطلب من أجل ثمراته من "نوافل ورقة وزينة" العيش.
- **فشؤون المعاش** عنصر أساسي في حركية وتاريخ العمران البشري، والنحلة المعاشية خليط من تأثيرات اقتصادية وطبيعية جغرافية.

❖ نظرية إيف لاكوست في عوامل التاريخ المغربي.

1. هي نظرية فرع عن الفكر التاريخي للمادية التاريخية، استعانت بفلسفة ابن خلدون في بعض جزئياتها.
2. فيرى صاحبها أن المغرب الوسيط احتل مكانا أساسا في العلاقات التجارية لحوض المتوسط والمشرق الإسلامي؛ فقد تحكم مدة ستة قرون في **طريق ذهب السودان**.
3. ان طريق تجارته تحولت منذ منتصف ق9م إلى طريق الصحراء الغربية الأقل صعوبة والأكثر أمنا.
4. فابتداء من القرن التاسع بدأ ظهور الممالك المغربية القوية، أو **حضارات تجارة الذهب**.
5. ويرى أن هذه التجارة كانت بيد الخواص، لم تتحكم فيها الدولة إلا بقدر تأمينها و**استثمار ضرائبها**.
6. ولهذا ولعدة قرون تنازعت ممالكها السيطرة على طرقها، وخاصة على **"مراسي الصحراء"** الممثلة في المدن الرئيسة المتحكمة فيها.
7. كانت طريقها الرئيسة تمر على **"مدن المراحل"** التي ستصبح عواصم الممالك المغربية القوية.
8. ويرى أن صراعات القبائل وممالكها لم تكن على أساس توسعي (عصبية) بقدر ما كان لأجل السيطرة على **طريق الذهب**، بدليل أن أكبر ثلاثة ممالك ظهرت في الناحية من خلال ثلاثة مجموعات قبلية قوية، بإنشائها ممالكها مباشرة تقريبا بعد السيطرة على سجلماسة
9. كما أن الدولة المغربية الوسطوية غير موصوفة بحدودها؛ إنما هي أساسا **مركز محوري سياسي تجاري**، قلبها مدينة تجارية كبرى، هي نقطة وصول القوافل التجارية الصحراوية.
10. كما أن **أصل الفائدة** (فائض الإنتاج) المتركزة بيد الأرستقراطية لم يتأتى عن طريق هيمنتها على وسائل الإنتاج، بقدر ما هي ناجمة عن موقعها **كوسيط تجاري** متوسطي؛ فكانت **أهمية الفائدة** التجارية مفسرة لضعف اتجاهها نحو الهيمنة على وسائل الإنتاج.
11. وقد ساهم في جمع إيراداتها **نظام الاقطاع** يخالف الإقطاع الأوربي في كونه جبائيا محضا، لا تمليكيا ولا أخلاقيا ولا سياسيا.
12. كما أن فئة التجار لم تبحث على أن تصبح **برجوازية**، ولم تسع للهيمنة على وسائل الإنتاج.
13. ولم تكن الأرستقراطية على تنوعها **"فئة مغلقة"** بل فئة مفتوحة لأصحاب المال أيا كانوا؛ لهذا كانت متبدلة ولم تبن **نظاما وراثيا** (النبالة) كما في أوربا.

اهـ